لغز امين المكتبة

مروة راضي "فلسطين"

أمام شقة في شارع الهرم وقف شكري وهو شاب في أواخر العشريات، بوجهه النحيل الشاحب، وعيناه الغائرتان وشعره الأسود الفاحم الذي ينسدل فوق جبينه، مرتديا بدلة سوداء فاخرة، بضع دقائق يقرع جرس الباب قبل أن يطل من خلفه وسيم، وهو رجل في أوائل الثلاثينات، مفتول العضلات وسيم الطلعة، له شعر أسود مجعد وعينان خضراوان، ليفتح هذا الأخير الباب لشكري في حزن، قبل أن يحتضنه وهو يقول: -

أهلا شكري، لقد كنت أنتظرك تعال ٠

أجابه شكري في ألم وهو يربت على كتفه:-

:-مرحبا وسيم، يالفاجعتنا لقد فقدنا والدنا بينما نحن في الغربة آسف لذلك

دخل كل من وسيم وشكري إلى المنزل بينما وسيم يغلق الباب

شكري يسأله في خفوت:-

-ماذا تفعل هنا الآن، هل وجدت شيئا؟ لقد ذهبت لشقتك بعد إنتهاء العزاء فلم اجدك! هل تفقدت ممتلكات والدي وما قصة الديون؟

أجابه وسيم في أسف:-

لا شيئ أنا هنا منذ ساعتين أحاول أن أحصي ممتلكات والدي وكنت أبحث عن بعض الأوراق الهامة لكنني لم أجد إلا أكوام من الكتب والمجلات والدوريات العربية والأجنبية.

أخذ كل من وسيم وشكري يتجولان في ممرات المنزل، لم يكن هناك شيئ سوى رفوف مكتظة بالكتب المتنوعة، وهنا تبادل كل من وسيم وشكري نظرات الحسرة وهما يحدقان في الكتب، أخذ شكري يحك ذقته في عصبية بينما وسيم يقلب كفيه في حيرة قبل أن يقول الأول بعصبية:-

لكن لماذا يقول والدي في وصيته، لقد تركت لكم كنزا لا يقدر بثمن، هل يسمي هذه الأوراق كنزا،ماذا سنفعل الآن وكيف سنسد الدين، اللعنة!

أخذ وسيم يقلب بصره في أرجاء الغرفة ويفتش في بعض الأدراج ثم توقف مشيرا إلى مصباح على شكل رأس أسد يفتح فمه قبل أن يقول في هدوء:-

ما هذا؟ أنظر يا شكري لهذا المصباح هنا، على هذا الجدار إنه لأسد يفتح فمه بينما جميع الجدران فيها نفس المصباح لأسود تغلق أفواهها، لماذا؟ أليس هذا شيئا غريبا.

أجابه شكري في لا مبالاة وهو يلقي بجسده على مقعد وثير واضعا ساقا فوق الأخرى، وهو يريح رأسه للوراء:-

لا شيئ غريب، من يكترث بالأسود الآن، دعنا نفكر في مصيبتنا أولا كيف سندفع الدين، إنه ثلاثة ملايين دولار، حتى لو تقاسمنا الدفع، لن نستطيع أن نسده وهذا يعني أننا سنكتب شيكات بدون أرصدة، نور أنفسنا ونذهب إلى السجن.

تجاهله وسيم ثم تقدم من ذاك الجدار المثبت عليه رفوف مكتظة بالكتب، تناول كتابا ونفث الغبار عنه وقلبه الى حافته من ناحية الورق، فوجدها ملونه بلون باهت مختلف عن لون الورق، فسفوريا إلى حد ما على شكل خط عمودي، تناول كتبا آخر وتفحصه فإذا به ملون بنفس اللون لكن بشكل أفقي، وهنا إتسعت عيناه في ذهول، وبقي يقلب الكتب الواحدة تلو الآخرى حتى أنتهي منها جميعا ثم رفع حاجبيه وتراجع للوراء خطوتين قبل أن يطلق صفير إعجاب قصير.

بقي شكري فاغرا فاه يحدق قي وسيم الذي توجه إلى النافذة وأغلق الستائر، قبل أن يقول في سعادة ودهاء،بينما ترتسم على شفتيه إبتسامة قصيرة وهو يخرج من جيبه مصباحا يدويا وتسلطه على الرف.

-لقد فهمت الآن، إنها كلمة سر او ماشابه هل تراها الآن يا شكري.

ثم أخذ يتهجى هذه الجملة (الحروف اسرار) بصوت خافت ثم أعادها كاملة بصوت عال، وبمجرد انتهائه إنتفض من رأسه حتى أخمص قدميه، فلقد تناهي إلى مسامعه صوت زئير المصباح الذي على كان على شكل أسد والمعلق على ذات الحائط وباتت عيناه تتقدان بضوء أخضر قوي، وهنا رفع شكري جسده للأمام معتمدا على راحتيه فوق مسند الأريكة، فاغرا فاه، قبل أن يطلق شهقة خافتة، وانفتح الجدار كاشفا وراءه عن سرداب طويل مظلم ومخيف،تبادل كل من شكري ووسيم نظرات الذهول والفضول قبل أن ينهض شكري من مقعده ويقترب من وسيم ويضع يده على كتفه، ويضيف في حماسة.

- بالدهاء والدي ودهائك، أيعقل أن يكون هناك الكنز الثمين الذي تحدث عنه والدنا رحمة الله عليه٠

أجابه وسيم في هدوء وحزم

- أتمنى ذلك، دعنا نفحص المكان

استطرد شكري في قلق

-توقف

سأله وسيم في حيرة

- لماذا؟

ثم عاد يومئ براسه إيجابا في تردد، وهنا أدار وسيم المصباح الذي في يده وأضاء مجددا وخطأ كل منهما بحذر نحو السرداب، لكن في اللحظة التي سار فيها بضع خطوات داخل السرداب،انبعثت رائحة نتنة للغاية في المكان، أدار وسيم مصباحه فيما حوله وهو يقول بعصبيه

- لابد من مفتاح إنارة في المكان وماهذه الرائحة النفاذة والنتنة!؟

هتف شكري وهو يرتجف قهرا

- لا أدري،إسمع دعنا نخرج من هذا المكان يا أخي إنه مخيف وغامض

قبل أن يشير إلى بقعة ما وقع عليها ضوء المصباح الذي في يد وسيم وهنا مد وسيم يده نحوه، كان صندوق صغير ارجوانيا له قفل على شكل أنياب ٠

تحركت يد وسيم نحو الصندوق في محاولة لمعالجته، إلا أن شكري صرخ في وذعر.

-لا تفتحه!

أجابه وسيم في حذر

- لم لا؟؟، ربما داخله مفتاح إنارة أو ما

قاطعه شكري في عصبية

- يمكن أن تندم، ربما يكون فخ للصوص أعده أبي أو أنه

قاطعه وسيم في حزم وحماسة وهو يفتح الصندوق الصغير ويضغط الزر

أجابه وسيم في هدوء

- سأجرب حظي لا داعي للخوف كل شيء مازال على ما يرام

قاطعه شكري في هلع وأصابعه ترتجف:-

اللعنة يا رجل اللعنة إنظر هناك إنها جثة!

أدار وسيم بصره إلى تلك البقعة وفي نفس اللحظة إنغلق الجدار خلفهما بقوة، وهما داخل السرداب، وقف شكري ووسيم يحدقان في الجثة المتحللة وبعض الديدان تتقافز حولها قبل أن ينقل بصره بينها وبين السرداب المغلق خلفهما، قبل أن يقول شكري في هيستيريا وهو يضرب صدر وسيم بقوة:-

اللعنة عليك لقد سجنتنا هنا مع هذه الجثث، سنموت هنا اللعنة عليك!

حاول وسيم تمالك أعصابه بحزم وهو يزيح يد شكري عن

ليقول في هدوء: -لا تقلق سنخرج حالا لابد أن يكون هناك مخرج آمن ٠

قالها وانحنى راكعا وهو يسلط المصباح على الجثة، بقي شكري ينظر إليه في سخط واشمئزاز وهو يضع يده على فمه في محاولة لتجنب الشعور العارم بالرغبة في القيئ، ثم مط شكري شفتيه في حنق وهو يقول: -حسنا أيها العبقري أخرجنا من هنا سريعا، أعلم أنك لا تلق بالا لهذه الجثة المخيفة، فأنت خبير تشريح لا يشق له غبار٠

ابتسم وسيم في سخرية، بعد أن أخرج شيئا ما من جيبه وقلب الجثة بحذر بضع ثوان وهو يتفحصها، التفتت إلى شكري وهو يقول في هدوء مستفز:- هذه الجثة لشاب في العشرين من عمره إنها حديثة نوعيا، لقد مات على ما يبدو من شدة الجوع، والعطش إن أوردته جافة قليلا، ومعدته يابسة ربما هو لص، حاول التسلل إلى هنا وفشل في الخروج، دعنا نبحث عن إنارة المصباح لن يساعدنا مطولا٠

قالها وهو ينهض ويدير المصباح فيما حوله بسرعة متفحصة الجدران واضعا منديلا فوق أنفه وكذا شكري الذي كان يرمقه في سخط لولا أن تناهي

إلى مسامعها صوت مزعج ومخيف يقترب منهما بسرعة ومع إقتراب الصوت التفت كل منهما إليه، واتسعت عينا وسيم في ذهول وفزع وهو يسلط ضوء مصباحه على الأرض بينما أطلق شكري شهقة رعب، لتظهر عشرات الجرذان التي تتحرك بسرعة ووحشية نحوهما وأعينها تتقد، تحرك للوراء شكري وهو يحاول الركض بعيدا، ليتعثر ويسقط أرضا بينما وسيم تسمر في مكانه يحدق في بقعة أمام شكري قبل أن يناديه :- شكري، إنها لا تريدنا لا تخف عد هنا بسرعة إنها تريد الجثة.

كانت الجرذان بالفعل تتجه إلى الجثة بسرعة، وهنا نهض شكري مذعورا، قبل أن يستعيد توازنه و يركض بسرعة نحو وسيم الذي كان يسلط مصباحه على الأرض، أمام شكري ليتمكن من الرؤية، ركض شكري وهو يلهث ليصل الى حيث وقف وسيم، بينما يضع يده الأخرى على أنفه وهو يومئ برأسه موافقا، لكن وسيم فجأة إتسعت عيناه و هو يدير مصباحه على الأرض في بقعة أمامهما، لتظهر فيها جثة لسيدة وحولها الجرذان تنهش فيها، وهنا بدى لو أن شكري سيتقيأ بينما إزداد تعرقه وهو يقول في صوت خافت:-

لم أعد أحتمل، أشعر بالدوار والغثيان أخرجنا يا وسيم أرجوك.

حرك وسيم في غضب وحيرة مصباحه على الجدران حوله، قبل أن يطرق الحائط وهو يقول في عصبية:- اللعنة، أنا أحاول يا رجل، أحاول ٠

وبمجرد أن طرق وسيم الحائط حتى إشتعلت الإنارة في كامل السرداب، تبادل كل من شكري ووسيم نظرات الدهشة بعدها أطلق شكري تنهيدة عصبية وهو ينقل بصره بين الجثتين والسرداب الخاوي، لكن وسيم كان صامتا يلتفت حوله وينظر إلى أعلى السقف قبل أن يقول في ثقة:-

إسمع يا شكري، لقد وجدت المخرج لكنني لن أدعك تخرج منه بدون مقابل أنا أعرض عليك هذه الصفقة، أخرجك من هنا مقابل أن تدفع لي ثلاثون ألف دولار ٠

حدق شكري به في حزن وقلة حيلة قبل أن يتناول القلم في إستسلام ويجره لتذييل الشيك بتوقيعه ويناوله لوسيم٠

إستطرد وسيم في غرور:- مشكلتك أنني أكثر ذكاءًا ودهاءًا منك، أما الآن دعني أشرح لك ببساطة الأمر، لقد سبقتك إلى هنا منذ عرفت بشأن الكنز الذي تحدث عنه والدي ولقد حللت لغز كلمة السر ودخلت إلى السرداب، ووجدت الكنز، إنه أنياب الأسد، قطعتين من الألماس الخام، زر إغلاق السرداب، لقد جعله والدي يبدو على هذا النحو ليربطه بشيئ كريه للنفس ألا

وهو السجن في السرداب، فلا يلقي له أحد بالا اذا ماحاول السرقة كما أنه في علبه أرجوانية فاقعة لتقلل من بريق قطعتي الألماس، فلا يلتفت لهما احد، أما عن الجثتين، فلم يكن صعبا للغاية أن أحصل على جثتين من مشرحة المشفي قبل دفنهما وآتي بهما إلى هنا لبعض الوقت، أقصد لإخافتك وإبتزازك للحصول على مال إضافي بالاضافة للكنز، لكن لا تقلق سأعطيك حصتك من الألماس عندما نبيعه في الخارج، عليك أن تكف عن جبنك فهو لن يفيدك بالمرة، عليك أن تستخدم عقلك ودهاءك، أما عن المخرج فها هو ذاك ٠

قالها وقهقه ضاحكا في سخرية، أما شكري كان يرمقه في غضب وذهول بينما هو يشير بهدوء إلى مرآة صغيرة معلقة بالسقف، ثم أخذ يكتب في ورقة بقلم داكن جملة الحروف أسرار بالمعكوس ورفعها بيده ناحية المرآة، وبمجرد أن رفعها حتى انفتح السرداب، وهنا التفت شكري إلى وسيم وعلى وجهه شبح ابتسامة وهو يقول

شكري:-

رغم أنك أبطلت عمل هاتفي النقال، لكنك كما تعرف أنني شديد الحرص والحذر في شتى أموري، لذلك وضعت برنامج يعمل حين تتوقف الشبكة وأتأخر بالرد عن ساعتين ببرنامج تعقب ولا أظن بعد كل هذا الغياب أن

زوجتي لم تستدعي الشرطة من باب القلق.

وسيم في غضب:-

أيها الأحمق، هل استدعيت الشرطة، إنك لن تؤذيني فحسب ' بل وستؤذي نفسك، هلتعلم مالجهة اللامعة في الكتب، التي أرشدتنا لكلمة السر، إنها شريط لتزيف العملة.

بقي شكري فاغرا فاه من هول الصدمة يحدق في وسيم الذي استل مسدسه، و ألصقه في عنقه (وسيم) ثم وجهه نحو جبين شكري ثم ضغط الزناد لتنطلق شهقة ألم من حنجرتين معا في آن واحد.

***